

مقدمة

التاريخ من أهم الميادين الفكرية التي اهتم بها الانسان والتي ظهرت منذ عرف الكتابة اذ شعر بالحاجة الى تدوين ذكرياته وافكاره ومعارفه وتسجيل خواطره عن الكون خوفا عليها من الضياع . فالتاريخ بدأ تدوينا لحوادث واخبار منفردة ، او ترجمة لملك او تخليدا لعظيم ، ثم انتهى بتاريخ حياة الشعوب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بطريقة لا تقتصر على سرد الخبر او الحادث بل بطريقة يصدر فيها المؤرخ احكامه بأسلوب علمي يقوم على البحث فى الوثائق التاريخية واستخلاص النتائج التى تتعلق بجهود البشرية فى الماضى ، وكيفية الاستفادة منها فى الحاضر .

وللتاريخ ابعاد ثلاثة اولها انه علم له منهج يبرزه من خلال دراسته للحدث والتحقق من ابعاده ، وابرازه للتجارب الانسانية الماضية مستعينا فى ذلك بما تركته وراءها من آثار . وثانيها انه ادب لانه يتطلب ذوقا رفيعا ومقاييس واضحة خلال عرض موضوعاته . وثالثها انه فن لانه يحتاج الى الابداع والخيال الذى يبعث الحياة فى الماضى ، ويبرزه فى ثوبه اللائق به . والى جانب ذلك فان التاريخ يتطلب بصيرة علماء النفس والفلسفة واحكامهم وخصوصا انه التجربة المدونة للجنس البشرى التى يستطيع الانسان أن يستفيد منها فى شتى ميادين المعرفة ، وان اعادة كتابته تعد بمثابة اختصار للتجارب البشرية ، وحفظ لخبرتها كما انه أشد العلوم الاجتماعية انسانية ، هذا بالإضافة الى انه بمثابة ذاكرة الشعوب ، وخاصة ان الشعوب التى لا ماضى لها لا هوية لها .

ولما كان لكل علم منهجه فان للتاريخ منهجا له طبيعته فى البحث يشمل مجموعة من القواعد والاسس التى يسلكها الباحثون بهدف تنظيم عملية البحث التاريخى .

ومن المعروف أن مدلول منهج البحث يتكون من كلمتين الأولى منهج وتعنى الطريق أو السلوك وهى مشتقة من كلمة نهج بمعنى سلك أو اتبع ، وكلمة منهج بمعنى الطريق الواضح أو الخطة المرسومة ، ومنها منهج الدراسة ^(١) .

وفى التنزيل الحكيم « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ^(٢) .

وقد استعمل افلاطون وارسطو هذه الكلمة فاستخدماها الأول بمعنى المعرفة واستعملها الثانى بمعنى البحث عن المعرفة ثم تأصلت هذه الكلمة فى عصر النهضة الأوربية فاستعملها الفرنسيون واطلقوا عليها Mothode واستخدماها الانجليز واسموها Method بمعنى القواعد العامة الموضوعية من أجل الوصول الى الحقيقة فى العلم . وبالنسبة لكلمة بحث فهى مصدر الفعل الماضى بحث ومعناه فتش أو تقصى أو تحرى أو حاول ، ومعنى ذلك أن معنى البحث لغويا يعنى تقصى حقيقة من الحقائق أو أمر من الأمور .

وعلى ضوء ذلك فانه يمكننا تعريف منهج البحث بأنه القواعد المنظمة والاسس المحددة التى يسلكها الباحث لتعينه على ترتيب أفكاره ، وممارسة عمليات التمحيص والتحليل بهدف الوصول الى الحقيقة العلمية أو الى ضرب من ضروب المعرفة .

والبحث فى التاريخ يبدأ — شأنه كشأن العلوم الأخرى — بأن يدرك الباحث أن هناك شيئا يتطلب الإيضاح ومن هنا يبدأ بتحديد مشكلة الدراسة ، وأهداف البحث . ومن المعروف أن الغاية الأساسية من وراء أى بحث علمى هى المعرفة ، وهذا يجعل دور الباحث فى التاريخ لا يقتصر على تدوين الحوادث على النحو الذى يمدنا بالأخبار بل يشمل تحليلها ومحاولات كشف وجوه ارتباط بعضها ببعض ، علاوة على ارتباطها من حيث

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ج ٢ ، طهران ، المكتبة العلمية ص ٩٦٦ .

(٢) المائدة : الآية ٤٨ .

التتابع أو الاتفاق الزمنيين . ومع أن كل حادثة تاريخية تعد فريدة في
مآبها من بعض الوجوه فإنها أيضا يمكن أن تشبه غيرها من الأحداث
التاريخية .

ولما كان معظم الدراسات حول هذا الموضوع قد مضى عليه
حين من الزمن ولم يواكب الدراسات الوثائقية والبحثية الجديدة ، ونظرا
لأن تقدم البحث في علم التاريخ يرتبط بالمنهج ويدور معه وجودا
وعدمًا ، وخصبا وعقبا وصدقا وطلانا ، وأصالة وركاكة . ونتيجة لأن
المعرفة الواعية بمناهج البحث التاريخي تستلزم بالضرورة اتقان
الباحثين لبحوثهم ، وتلافى الكثير من العثرات التي تعترض بعضهم فإننا
قد حاولنا أن ندلى بدلولنا بهذه الدراسة التي نرجو أن تحقق بعض النفع
لطلابنا وباحثينا ، وأن تثر ثمارها المرجوة فيما يفيد توجيه البحث
العلمي ، كما نرجو ألا يكون حبنا للتاريخ أعظم من معرفتنا به ، وأن تؤدي
حسن معرفتنا به إلى المزيد من الاستفادة منه .

وفي الختام نذكر أننا نضع في اعتبارنا كل المحاولات الجادة التي
سبقَتْ هذه الدراسة مثل كتابات حسن عثمان وأسد رستم وغيرها بقينا
منا أن دراستنا هذه لا تنشأ من فراغ ، كما أنها لا تنتهي من فراغ بل هي
حلقات متصلة ، وهذه الدراسة حلقة من هذه الحلقات سوف تتبعها
دراسات ودراسات إن شاء الله .

والله أسأل أن يوفقنا للعمل المفيد .

١ . د عبد المنعم إبراهيم الجبيلي

ابها ، المملكة السعودية

في ١٣ محرم ١٤١٢ الموافق ٢٣ يوليو ١٩٩١